مصنفات الشيخ المفيد

(المتوفى ٤١٣ هـ)

١٢



رسالة في



المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الشيخ المفيد



رسالة في

معنى المولى

تأليف

الإمام الشيخ المفيد
محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم
أبي عبد الله، العكبري، البغدادي
(٣٣٦ - ٤١٣ هـ)

الكتاب :	رسالة في معنى المولىٰ
المؤلف :	الشيخ المفيد (ره)
تحقيق :	الشيخ مهدي نجف
الطبعة :	الأولى
التاريخ :	١٤١٣ هـ ق
الناشر :	المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد
المطبعة :	مهر
صفّ الحروف :	مؤسسة آل البيت
الكمية :	٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

لكلمة «المولى» دورٌ كبير في بحوث «الإمامة والخلافة» لورودها في واحدٍ من أهم ما استدل الشيعة به على إمامة أهل البيت عليهم السلام و هو حديث الغدير.

و أهميّة حديث الغدير ينبع من التسالم على قبول وروده، و صحة روايته، و تواتر نقله، بما لا مجال للبحث والجدل فيه من حيث الاسناد. فهو حديث مجمع على نسبته إلى كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و هو قوله: «مَنْ كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه».

و استندت الشيعة منذ القدم إلى مدلوله المحتوى على كلمة «مولى» على عقيدتها، و أشبع علماؤها و متكلموها البحث والاستدلال على صحة ما تعتقده، و منهم الشيخ المفيد في كثير من كتبه، إلاّ أنّه خصص للبحث عن هذه الكلمة رسالتين:

احداهما: أقسام المولى في اللسان:

بحث فيها لغوياً، و سلك مسالك علمية متقنة لاثبات أن المعنى المراد في الحديث هو الإمامة، و قد تحدثنا عنها في هذه النظرات.

الثانية: رسالة في معنى المولى، و هي هذه الرسالة التي نقدّم لها، و قد املاها الشيخ على أثر نقاش حصل له مع متكلم معتزلي من جماعة (البهشميّة) المنسوبة إلى ابي هاشم الجبّائي، حيث أنكر دلالة لفظ «المولى» على الإمامة، لإنكاره كون الإمامة من معانيها أصلاً لغةً.

و قد ردّه الشيخ المفيد، بإثبات أن الإمامة من المعاني اللغوية للكلمة، بل هي الاصل، و المعنى الموضوع له، و الحقيقي للكلمة، بنفس الطريقة التي اتّبعها في الرسالة الأُولى «أقسام المولى في اللسان».

فاستشهد بأشعار كبار الشعراء من الصحابة و غيرهم، ممن يحتج بكلامهم في معرفة اللغة و دلالاتها.

و أضاف هنا الاستدلال بالفهم اللغوي المعاصر، مستنداً إلى اتصال هذا الفهم إلى زمان الرسول صلى اللّه عليه وآله، و ذلك حيث يروي الشيعة بأجمعها عن أسلافها ـ وليس يمكن دفع اكثرهم عن الفصاحة ـ إلى أن ينتهي إلى عصر رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله، أنّ الذي جعله الرسول لعلي عليه السلام في يوم الغدير هو الإمامة، وأن الذي ضمنته لفظة «المولى» هو: الرئاسة.

و يمكن أن يعتبر هذا الاستدلال، تمشياً مع الرأي الذي يشكّك في كفاية الاستناد إلى الفهم المعاصر من ألفاظ اللغة، لإستناده إلى المعصوم عليه السلام، مع بُعْد الزمان، و تقلّب المفاهيم اللغوية على الدوام.

فانّ اتّصال هذا الفهم من عصرنا، إلى عصر الرسول صلى اللّه عليه وآله يكفي دليلاً على عدم تغير وضع الكلمة.

مع أن هذا الرأي باطل أساساً، لأنه يؤدي إلى سدّ باب اللغة و تعطّل النصوص، لعدم الدليل على اتصال كل معنى و مفسدة بديهيّة كهذه تكفي للردّ

على تلك الشبهة.

مع أن أصالة عدم النقل تكفي للردّ عليها كما هو موضّح في محله.

وأضاف الشيخ المفيد في هذه الرسالة استدلالاً آخر هو الاحتجاج بكلام أهل بيت النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم واجماعهم على دلالة «المولى» على الإمامة، فقال: «أهل بيت رسول اللّه عليهم السلام جميعاً يدّعون ذلك و يصحّحو نه، و يعتمدون عليه في إمامة أبيهم أمير المؤمنين عليه السلام، وليس يمكن عاقلاً دفع أحَدٍ منهم عن العلم بالعربية و الاضطلاع باللغة، إذ كانوا أهلها، و عنهم أخذ أكثرها.

و لقد كان أهل البيت عليهم السلام في طليعة الذين اهتمّوا، فبذلوا «اهتماماً عديم المثيل بواقعة الغدير، و حديثه و دلالته، و يومه، فاعتبروه شارة الحقّ و ميقاته، فكان الغدير من أقوى الادلة على إمامة علي والأئمّة من آل محمد عليهم السلام، به يستدلّون، و إليه يُرشدون، يُشيدون به باعتبار أنه من أكبر الاعياد الإسلامية حيث تمّت فيه نعمة اللّه، و كمل دينه، و اصبح الإسلام دينا مرضيّاً.

و هم يتناقلون خبره، فكانت روايتهم لحديث الغدير من أضبط نصوصه و أقوى طرقه، و أوثق أسانيده.

و أوضحوا معالم دلالته، بإيراد نصّه الكامل، المحفوف بقرائن تبيّن مراداته و تكشف ابعاد معانيه».[1]

---

(١) انظر تفصيل هذا البحث في مجلة «تراثنا» العدد(٢١) الخاص بيوم الغدير سنة ١٤١٠ بمناسبة مرور (١٤) قرناً على ذكرى عيد الغدير الأغر: ص ١٠و٦٠ـ٨٠ من مقال: الغدير في حديث العترة الطاهرة، و راجع الغدير للاميني (١/١٩٧ـ٢٠٠).

ثم إن ذلك المناظر اعتمد على عدم ذكر بعض أهل اللغة لمعنى «الأُولى بالتصرف» في معاني «المولى».

فردّه الشيخ المفيد:

أولاً، بأن انفراد بعض أهل اللغة بشيء لايكفي دليلاً على اللغة، إلاّ اذا اتفق الكلّ على ذلك فَيكون حجة.

و ثانياً، عدم ذكر البعض للمعنى، لايدل على انتقاء المعنى حتى عنده، فاولئك لم يذكروا معنى «الاولى» ولكن لم ينفوه، و لم ينكروا على من أثبته، بينما غيرهم من أصحاب اللغة و الشعراء الفصحاء أثبتوه.

«و لاخلاف» كما قال الشيخ «بين أهل العلم: أن المثبت في هذا الباب وأشكاله أولى من النافي» لأنّ من يعلم حجة على من لايعلم.

ثم دخل الشيخ في نقاش حول حجية كلام الكميت في مثل هذا، و ذكر هنا نفس ما اورده في الرسالة الأُولى حول ذلك، و مما قال:

وليس يجوز على الكميت مع جلالته في اللغة العربيّة ـ وضعُ عبارة على معنى لم توضع عليه قطّ في اللغة، و لااستعملها قبله فيه أحد من أهل العربيّة، ...، لأنّه لو جاز ذلك عليه جاز على غيره ممن هو مثله و فوقه و دونه، حتى تفسد اللغة بأسرها، و لايكون لنا طريق إلى معرفة لغة العرب على الحقيقة، و ينغلق الباب في ذلك.

و قال أيضاً: و هذا هو الذي قدّمناه من غلق باب اللغة، والحيلة من إفساد الشريعة.

ثم عقد الشيخ فصولاً:

تحدث في الأول منها عن احتمال الجهل، أو العناد، أو التأول حسب الاعتقاد، في اصحاب اللغة و الشعراء المعتمد عليهم.

و قد دفعه الشيخ بأن هذا يؤدي إلى سدّ باب العلم باللغة، و يؤدي إلى إهمالها، و قد كرّر الشيخ هذا المعنى.

و في الثاني: ذكر الشيخ شاهداً من كتاب «غريب اللغة» لابي عبيدة حيث فسّر قوله تعالى «هي مولاكم» بقوله: أي أولى بكم، واستشهد بشعر لبيد، فقال الشيخ: لولا أن أباعبيدة لم يخطر بباله - عند تفسير هذه اللفظة بهذا - ما للشيعة من التعلق في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، لما صرّح به، و لكنه كسلفه و إخوانه، و مضى على سنتهم.

و في الثالث: ذكر اعتراضاً في الاستشهاد بكلام الكميت حاصله: أن من المحتمل أن يكون الكميت إنما استفاد معنى الولاية لعلي عليه السلام من تسليم الناس عليه بإسرة المؤمنين، لا من قوله صلى اللّه عليه وآله: «من كنت مولاه» فلم يتم الاستدلال على أن «المولى» بمعنى «الاولى».

فأجاب الشيخ عن ذلك:

اوّلاً: إنّ هذا يدل على بطلان ما يزعمه العامة من أن أول من قال بالوصية بالنص، هو ابن الراوندي، وأن الشيعة تبعته في دعوى النصّ.

و هذا الزعم يلتزم به العامة قاطبة، و يستغرون الجهال به، لاسيّما شيخهم أبوعلي الجبّائي، فانه يعتمد عليه.

و ثانياً: إن حديث التسليم على أمير المؤمنين عليه السلام بالإمرة والولاية إنما هي واردة في ذيل حديث الغدير، وانها عقيب قوله صلى اللّه عليه وآله «من

كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» أمر الأمة ـ حينئذ ـ أن تقرّ له بمعنى ما جعله له بلفظ «المولى» فقال: سلموا عليه بإمرة المؤمنين.

فكان ذلك كشفاً عن معنى لفظ «المولى» و تفسيراً له، و تأكيداً على مقصوده منه.

و ثالثاً: إن حديث الغدير متواتر مذكور، و الاستدلال به معروف مشهور، وليست سائر الادلة على الإمامة بمنزلته في الشهرة، فلايمكن لشاعر مثل الكميت أن يترك الاستناد إلى المعروف، و يستند إلى غيره، فإنّ هذا غير متعارف بل لايُقدم عليه احد، فضلاً عن مثل الكميت في ذكائه و معرفته.

و في خلال الرسالة فوائد عديدة:

١ـ منها: أن الراوندية من الفرق جعلوا التفضيل علامة للإمامة، واعتقدوا إمامة أمير المؤمنين عليه السلام من جهة فضله ـ فيما زعموا ـ على الكل، لا من جهة النصّ.

٢ـ و منها: الاعتماد على القرينة الحالية ـ الخارجية ـ في فهم معاني الألفاظ، مثل ما صنعه في معرفة مراد الكميت، وأنه إنّما استدل بحديث الغدير دون غيره، لما ذكره من أن شاعراً نابها مثله لايترك المشهور المعروف و يستدل بغيره.

فليلاحظ.

والحمد لله ولي الحمد.

وكتب

السيّد محمد رضا الحسيني الجلالي

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن

قال الشيخ المفيد رضي الله عنه انكر رجل من البهشمية

حضرنا بالامس جماعة من المعتزلة المجبرة مجلساً ان يكون قول رسول

الله صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فعلي مولاه يحتمل الامامة

او فرض الطاعة والرياسة وقال غير معروف في اللغة والاعلام

عند اهلها ان المولى امام ولا مفترض الطاعة ولا يعبر بهم

عن الامام بالمولى ولا عن المفترض الطاعة الا اذا كان في طاعته

من جهة الملك وقال ان اهل اللغة لم يصطلحوا في هذا الباب وانهم

يرجعون في صحته وفساده الى ما ذكرناه من معانيهم

في مولى من لفظ سقط تعلقكم فعليك

علم بان الناس لم ترد على الدعوى في جميع ما ذكرته سيما

وان اهل اللغة واهلها لا خلاف وصف من اقوالهم بتضمن لفظة مولى الامامة

وعلمهم بذلك وظهوره وانتشاره في اشعارهم وكثرته في

استعمالهم من ذلك قول الاخطل وهو يمدح عبد الملك بن مروان

حين يقول

فما وجدت فيها قريش لامرها اعف واوفى من ابيك وامجدا

واورى بزنديه ولو كان غيره غداة اختلاف الناس اكدى واصلدا

فاصبحت مولاها من الناس كلهم واحرى قريش ان تهاب وتحمدا

فوصفه بانه اصبح امامها ومن بسط الناس بلفظة

مولاها والاخطل ممن لا يطعن عليه في العربية ولا يلحن في خطبه

فما علم من جهة اللغة ان من شعراء العرب وفصحائهم والمبرزين

في

الصفحة الأولى من النسخة «أ»

على ما وصفناه وكان قوله عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه
مجمعاً على أنه كان في يوم الغدير ظاهر ذلك عام في الكل
حتى لا يذكر الغدير إلا ويراد بذكره متقدمه القول في ولا
سيما القول الأول وسائر شيعته ذاكرون به المقام ولم يكن ما
اختصت به الشيعة من قوله عليه السلام في ذلك اليوم سلموا
على علي بإمرة المؤمنين يجري هذا المجرى لأن من علم ما تقدم
وصفه من الخلاف فيه والجحود المختص بطائفة دون يجوز أن أراد ذلك
على أنه لم يرد الكميت في قوله أجهلنا التعلق بالغدير
ويومه ولم يفصل ما فيه دون شيء آخر
وهو أن الشيعة تنصرف ادعاء النص على يوم الغدير
بل إن غيره بل قد يدعونه في يوم الدار عند دعوى بني هاشم
ومواقف على ذلك تجمعوا أصحاب الحديث من العامة وعندهم في
أماكن شتى ومقامات أخر فكيف يصح أن يكون أراد ذلك الكميت
فلم لا علقه بيوم الدار مع استفاضته في الطائفتين ولا نعرف مما
عددناه وعلقه بيوم الغدير وهو من الشيعة لما تقدم من ح
الغدير في الإمامة على النص من أجل الإجماع خاصة دون ما كان
بعدها مما رووه وأقل أمر الاحتجاج به لموضع الخلاف وهذا
ما أوهمهم أحد والله المستعان
وصلى الله على سيدنا محمد النبي
وآله الطاهرين وسلم تسليماً

الصفحة الأخيرة من النسخة «أ»

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال الشيخ المفيد رضي الله عنه أنكر رجل من الهاشمية فهمنا
وآباه وجماعة من المعتزلة والمجبرة بمجلس أن يكون قول رسول
الله صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فعلي مولاه يحتمل الإمامة
أو فرض الطاعة والرياسة وقال غير معروف في اللغة ولا معلوم عند
أهلها أن المولى إمام ولا مفترض الطاعة ولا يعبر أحد منهم عن الإمام
بالمولى ولا عن المفترض الطاعة إلا إذا كان فرض طاعته من جهة الملك
وقال إن أهل اللغة هم الأصل في هذا الباب وإليهم يرجع في صحة
فساده وإذا ثبت عنهم ما ذكرناه من نفي معنى ما ذكرتم في مولى من لفظه
سقط تعلقكم فقلت له قد أحضرني قال إن الأمر لم ترد على ما يجري
في جميع ما ذكرته شيئا وإن اللغة وأهلها خلاف وصفك من أنهم لم
يتضمن لفظة مولى الإمامة وعليهم بذلك وظهوره وانتشاره في
أشعارهم وكثرته في استعمالهم فمن ذلك قول الأخطل وهو يمدح عبد
الملك بن مروان حيث يقول فما وجدت فيها قريش لأمرها أعف
وأوفى من أبيك وأمجدا وأورى بزنديه ولو كان غيره غداة اختلاف
الناس أكدى وأصلدا فأصبحت مولاها من الناس كلهم وأحرى

الصفحة الأولى من النسخة «ب»

فذين ان يتهاب وتحمدا فوصفه بانه اصح امامها ورئيسها من يحيى
بن كنانة [illegible] سواء لا اختلاف بين احد من علماء العربية ولا يمكن
تخطيه فيما اخبر به من جهة اللغة كان احد من العرب وفصحائهم و
المبرزين في معرفة العربية وقد قال الكميت بن زيد وهو ممن استشهد بشعره
في كتاب الله عز وجل واجمع اهل اللغة على فصاحته ومعرفته باللغة و
رئاسته في الشعر وجلالته في العرب حيث يقول في قصيدته المشهورة
ويوم الدوح دوح غدير خم ابان له الولاية لو اطيعا ولكن الرجال
تبايعوها فلم ار مثلها خطرا مبيعا فلم ابلغ بها لعنا ولكن اساء
بذاك اولهم صنيعا وقد وجبت الامامة بخبر الغدير ووصفه بان له
من جهة المولى وليس يجوز على الكميت مع جلالته في اللغة والعربية وضع
عبارة على معنى لم يوضع عليه في اللغة ولا استعملها اهل الفصاحة
من اهل العربية ولا عرف بها شيء عنهم كان وصفت احد منهم لانه لو جاز
ذلك عليه جاز على غيره ممن هو مثله وفوقه ودونه حتى يفسد اللغة
باسرها ولا يكون لنا طريق الى معرفة لغة العرب على الحقيقة ويتعلق
ايضا في ذلك بشعر من نظره حسان بن ثابت من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وآله وفصحاء العرب الذين تحدوا بالقرآن وكان علامة الحجاز
[illegible] وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في ذلك الكلام

الصفحة الثانية من النسخة «ب»

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ المفيد رضي الله عنه ذكر رجل من الهاشمية ضمنا و
ازراء رجال عدة من المعتزلة والمجبرة مجلس ان يكون قول رسول
الله صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فعلي مولاه يحتمل الامامة
او يخرج على لفظة الرياسة وقال غير معروف في اللغة ولا
معلوم عند اهلها ان المولى امام ولا مفترض الطاعة ويعبر
احد منهم عن الامام بالمولى ولا عن المفترض الطاعة الا اذا
... عنه من جهة الملك فقال ان اهل اللغة الاصل في
هذا الباب واليهم يرجع في صحته وفساده واذا ثبت عنهم
ما ذكرناه من نفي معناكم في مولى من لفظه سقط تعلقكم
... قال الكسائي لم يرد على الدعوى في جميع ما ذكره
شيئا فان اللغة واهلها بخلاف وصفك من اقرارهم بمعنى لفظة
... الامامة وعلمهم بذلك وظهوره واشتهاره في اشعارهم و
كثرته في استعمالهم من ذلك قول الاخطل وهو يمدح عبد الملك
بن مروان حيث يقول فما وجدت فيها قريش لامرها اعف
واولى من ابيك واجدا واورى بزند لو كان غيره هداه
اختلاف الناس الذي واصلك فاصبحت مولاها من الناس
كلهم واحرى قريش ان تهاب وتحمدا ...
[illegible]
يطعن عليه في العربية ولا يمكن تخطئته فيما علم من جهة اللغة كان
احد شعراء العرب وفصحائهم والمتقدمين في معرفة العربية والكميت
بن زيد وهو ممن استشهد بشعره في كتاب الله عز وجل واجمع

الصفحة الأولى من النسخة «ج»

لموضع الخلاف وهذا ما لا يتوهم احد وبالله نستعين
وصلى الله على سيدنا محمد النبي
وآله الطاهرين وسلم
تسليما كثيرا
كثيرا

الصفحة الأخيرة من النسخة «ج»

رسالة في



تأليف

الإمام الشيخ المفيد

محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم

أبي عبد الله، العكبري، البغدادي

(٣٣٦ - ٤١٣ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ المفيد رضي الله عنه: أنكر رجل من البهشمية[1] - ضمّنا وإيّاه وجماعة من المعتزلة والمجبرة مجلس - أن يكون قول رسول الله صلّى الله عليه وآلـه: (من كنت مولاه فعـلي مولاه)[2] يحتمـل الامامة، أو فرض الطاعة والرئاسة.

وقال: غير معروف في اللغة، ولا معلوم عند اهلها، أن (المولى) امام، ولا مفترض الطاعة، ولا يعبر أحد منهم[3] عن الامام بـ(المولى) ولا

---

(١) قال الشهرستاني في ملله ١: ٧٣ «الجبائية والبهشمية أصحاب أبي علي محمد بن عبد الـوهـاب الجبائي وابنه أبي هاشم عبد السلام، وهما من معتزلة البصرة، انفردا عن أصحابهما بمسائل، وانفرد أحدهما عن صاحبه بمسائل».

(٢) لقد ذكر سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٣٠ عند الاشارة الى هذا الحديث وبيان طرقه المتواترة، قال: «كان معه صلّى الله عليه وآله من الصحابة ومن الاعراب وممن يسكن حول مكـة والمدينة مائة وعشرون ألفاً وهـم الذين شهدوا معه حجة الوداع، وسمعوا منه هذه المقالة».

(٣) في «ج» أحدهم.

عن المفترض الطاعة، إلاّ اذا كان فرض طاعته من جهة الملك.

وقال: ان أهل اللغة هم الأصل في هذا الباب، واليهم يرجع في صحته وفساده، واذا ثبت عنهم ما ذكرناه في نفي معناكم في «مولى» من لفظه، سقط تعلقكم.

فقلت له: ما انكرت على من قال لك انك لم تزد على الدعوى في جميع ما ذكرته شيئاً، وان اللغة واهلها بخلاف وصفك من اقرارهم بتضمن لفظة (مولى) الامامة، وعلمهم بذلك وظهوره وانتشاره في أشعارهم، وكثرته في استعمالهم.

فمن ذلك قول الأخطل(١) وهو يمدح عبد الملك بن مروان(٢) حيث

---

(١) غياث بن الصلت بن طارقة، ويقال: ابن سيحان بن عمرو بن الفدوكس بن عمرو ابن مالك بن جشم من بني تغلب، أبو مالك، والأخطل لقب غلب عليه. كانت امه ليلى من قبيلة أياد النصرانية، عاش ومات نصرانياً، وكان الأخطل مسرفاً في الشراب، اشتهر في عهد بني امية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم، فمدح معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية ومن بعدهم من خلفاء بني مروان، وهجا اعداءهم من العلويين وآل الزبير، والأنصار الذين خاصموا بني مروان، مات سنة ٩٠ هجرية، الأغاني ٨: ٣٢٠ ـ ٣٨٠، دائرة المعارف الاسلامية ١: ٥١٥، الشعر والشعراء: ٣٠٢، خزانة الادب ١: ٢١٩.

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس، ولد عام ٢٦ هجرية، وحكم الناس في شطر من البلاد الاسلامية أيام ابن الزبير بعهد من أبيه، واستوثق الأمر اليه بعد مقتله.

قال الذهبي: أنّى العدالة، وقد سفك الدماء وفعل الافاعيل.

وقال ابن عائشة: أفضى الأمر الى عبد الملك والمصحف في حجره، فاطبقه وقال: «هذا فراق بيني وبينك». هلك عبد الملك سنة ٨٦ هجرية. انظر تاريخ الطبري ٥: ٦١٠، وفيات الأعيان ٢: ٤٠٢، ميزان الاعتدال ٢: ٦٦٤.

يقول:

فما وجدت فيها قريش لامرها أعف وأوفى من أبيك وأمجدا
فاورى بزنديه ولو كان غيره غداة اختلاف الناس أكدى واصلدا
فاصبحت مولاها من الناس كلهم واحرى قريش أن تهاب وتحمدا

فوصفه بأنه اصبح امامها ورئيسها من بين كل الناس بلفظة «مولاها».

والأخطل من لا يطعن عليه في العربية، ولا يمكن تخطئته فيما علم مِن جهة اللغة، كان أحد شعراء العرب وفصحائهم، والمبرزين في معرفة العربية.

والكميت بن زيد[1]، وهو ممن استشهد بشعره في كتاب الله عز وجل، وأجمع أهل العلم على فصاحته ومعرفته باللغة، ورئاسته في النظم،

---

(١) أبو المستهل، الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد من بني أسد، شاعر مقدم، فقيه، خطيب، فارس، شجاع. عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، من شعراء مضر وألسنتها، ثقة في علمه، حتى احتج المفسرون في شعره. قال أبو عكرمة الضبي: لولا شعر الكميت لم يكن للّغة ترجمان.

قال أبو الفرج: ولد أيام مقتل الامام الحسين عليه السلام سنة ستين، ومات سنة ست وعشرين ومائة، وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً.

قال أبو عبيدة: لو لم يكن لبني أسد منقبة غير الكميت لكفاهم.

دعا له الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام بعد أن سمع منه أبياتاً فقال: «اللهم اغفر للكميت ما قدم وما أخّر، وما أسرّ وما أعلن، واعطه حتى يرضى». الأغاني ١٧: ٤١، والاعلام ٦: ٩٢.

وجلالته في العرب، حيث يقول في قصيدته المشهورة:

ويوم الـدوح دوح غدير خم ... أبـان لـه الـولاية لو اطـيعـا
ولكـن الـرجـال تبـايعـوهـا ... فلم أر مثـلهـا خطراً مبـيعـا
فلم أبـلغ به لعـنـاً ولـكـن ... أسـاء بذاك أولهـم صنـيعـا

وأوجب له الامامة بخبر الغدير، ووصفه بالرئاسة من جهة «المولى».

وليس يجوز على الكميت مع جلالته في اللغة والعربية وضع عبارة على معنى لم يوضع عليه قط في اللغة، ولا استعملها قبله فيه أحد من أهل العربية، ولا عرفتها شيء عنه (كذا) كما وصفت أحد منهم، لأنه لو جاز ذلك عليه جاز على غيره ممن هو مثله، وفوقه، ودونه حتى يفسد اللغة بأسرها، ولا يكون لنا طريق الى معرفة لغة العرب على الحقيقة، وينغلق الباب في ذلك.

ثم من تقدم هذين الرجلين من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، وفصحاء العرب الذين تحدوا بالقرآن، وكان علامة اعجازه عجزهم عنه، وقد شهدوا رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول هذا الكلام في أمير المؤمنين عليه السلام، ووصفه به، وفهموا معناه، واضطروا الى قصده فيه، لمشاهدتهم مخارج ألفاظه ومعاينتهم اشاراته، واضطرارهم بتحصيل ذلك الى مراده، كقيس بن سعد بن عبادة رحمه الله[1] حيث يقول في

---

(١) أبو عبد الملك، قيس بن سعد بن عبادة بن دليم من بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، دخل مصر في مستهل شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين والياً عليها من قبل الامام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم عزله عنها، فقدم قيس المدينة، ثم لحق بالامام عليه السلام ←

قصيدته التي لا يشك أحد من أهل النقل فيها، والعلم بها من قوله كالعلم بنصرته أمير المؤمنين عليه السلام وحربه أهل صفين والبصرة معه، وهي التي أولها:

قلت لما بغى العدو علينا ... حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حسبنا ربنا الذي فتح البصـ ... ـرة بالأمس والحديث طويل

حتى انتهى الى قوله:

وعلي امامنا وامام لسـ ... ـوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي: من كنت مولا ... ه فهذا مولاه خطب جليل
إنّ ما قاله النبي على الأمة ... حتم ما فيه قال وقيل

فيشهدها هكذا شهادة قاطعة بامامة أمير المؤمنين عليه السلام من جهة خبر يوم الغدير، ويصرح بأن المقول فيه يوجب رئاسته على الكل، وامامه عليه. هذا مع صحبته رسول الله صلّى الله عليه وآله، ورئاسته في الأنصار ومشاهدته الحال كما قدمنا بدءاً.

ثم حسان بن ثابت[1] وشعره المشهور في ذلك، وهو شاعر رسول الله

→ في الكوفة، وكان على مقدمة جيش أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين، وكان على شرطة الخميس، ولم يزل قيس بن سعد مع علي عليه السلام حتى استشهد عليه السلام، فصار مع الامام الحسن بن علي عليه السلام، فوجهه على مقدمته يريد الشام، وبعد أن وقعت المعاهدة بين الامام عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان رجع قيس الى المدينة، فلم يزل بها حتى توفى في آخر خلافة معاوية، انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٦: ٥٢، الولاة والكتاب والقضاة: ٢٢ ـ ٢٠.

(١) أبو الوليد، حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي ←

صلّى الله عليه وآله المقدم في الفصاحة في الجاهلية والاسلام، وقد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك» هذا مع رواية الشيعة باجمعها عن أسلافها، الى أن ينتهى الى عصر رسول الله صلّى الله عليه وآله ان الذي جعله رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السلام في يوم الغدير هو الامامة، فان الذي ضمنه لفظة «مولى» هو الرئاسة.

وفي جملتهم أهل بيت رسول الله عليهم السلام جميعاً يدعون ذلك، ويصححونه ويعتمدون عليه في امامة أبيهم أمير المؤمنين عليه السلام، وليس يمكن عاقلاً دفع أحد منهم عن العلم بالعربية، والاضطلاع[1] باللغة، إذ كانوا أهلها، وعنهم اخذ اكثرها، فلو لم يكن مع أصحابنا غير النقل في هذا الباب لا غناهم عن الاشعار، واستشهاد أقوال أعيانهم[2] من أهل اللغة، فكيف ومعهم جميع ذلك، وهذا يكشف عن خطأ دعواك على أهل اللغة، واعتمادك على فساد قولنا من جهتهم.

فقال: جميع ما ذكرت لا دليل فيه على صحة ما ذهبت اليه، وذلك أن ما بدأت فيه من شعر الأخطل فان المكنى عنه بـ«الهاء» التي في

الأنصاري النجاري، كان حسان من فحول الشعراء، وأحد المعمرين المخضرمين، عاش مائة وعشرين سنة، لم يشهد مع النبي صلّى الله عليه وآله مشهداً، وعمي قبيل وفاته، مات في زمن معاوية بن أبي سفيان، كان موالياً بصفة خاصة لعثمان بن عفان، وذلك ان عثمان عاش في بيت أخيه بالمدينة بعدالهجرة، وجعل جريرة مقتل عثمان تسعى حتى تقف بباب علي عليه السلام. الأغاني ٤: ١٣٤، تهذيب التهذيب ٢: ٢١٦، دائرة المعارف الاسلامية ٧: ٣٧٥.

(١) في «ج» الاصطلاح.

(٢) في «ج» أغيارهم.

«مولاها» هي الأمة، لأنه عنى بقوله: «فأصبحت مولاها» ناصر الأمة، والذاب عنها بولايتك، هي دون أن يكون عنى الامامة.

وكيف يكون مراده في هذا الباب الامامة، و«الهاء» على ما قدّمنا كنـاية عن الامة، ولو كان أراد ذلك لكان معنى كلامه فأصبحت امام الأمة، وهذا مما لا يتلفظ به عاقل.

فأما شعر الكميت الذي ذكر فيه (مولى) فانه لا حجة فيه، من قبل انه خبر عن اعتقاده في معنى خبر الغدير، والعرب ليس يعصمها فصاحتها من الغلط في الاعتقاد، وانما كان يسوغ لك التعلق بالكميت لو ضمن شعره الذي ذكر خبراً عن العرب، فأما وهو عن عقده كما شاء فليست فيه حجة.

وكذلك أيضاً ما ذكرته عن قيس ان صحّ، فهو خبر عن عقده دون العرب كافة، واهل الفصاحة عامة.

فامـا حسان فقد كفينا التعلق به لشهرة مذهبه في أبي بكر وعمر وعثمان مما ينفي ما يدعى عليه فـي القول بامامة علي بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فاما ما ذكرت عن الشيعة فلسنا ندفع أكثرهم عن الفصاحة، ولكنا ندفـع جميعهم عن صحـة عقد في معنى لفظة (مولى) اذا اعتقدوا فيها الامامة، واذا كان الأمر على ذلك، فقد صح ما ذهبنا اليه في هذا الباب.

فقلت: ما انكرت على من قال لك: ان ما تأولت به شعر الأخطل، ورمت بالالتجاء اليه افساد تعلقنا به واضح البطلان، وذلك ان «الهاء» انما هي كناية عمن تقدم وصفه دون مالم يتقدم، بل لم يجر ذكره البتة.

ألا ترى انه قد بدأ بذكر قريش فقال:

فما وجدت فيها قريش لامرها... الى آخر كلامه.

ثم قال على النسق:

فأصبحت مولاها . . . من غير خلط للامة بذكر قريش أو غيرها، مما يصح أن يكنى بـ«الهاء» عنه.

فكيف يمكن تأويلك على ماتأولت مع أنه لو كان على ما ذهبت اليه، لخرج الكلام من حد المدح المخصص أو تناقض في اللفظ، ودلّ على فساد الغرض، وذلك ان نصرة الأُمة لم تكن مقصورة عليهدون غيره كما ليست مقصورة على سائر الأئمة دون جماعة المسلمين، بل قصرها على مذهبك يجب أن يكون على غير الامام من العاقدين له، لانها بعقدهم يثبت، وباختيارهم يصح، مع كونهم من وراء الامام، لتأديبه عند الغلط، وتقويمه عند الاعوجاج والزلل.

فكان لا يبين منهم مما خصّه به من المدح، بل يكون الخاص له بذلك سفيها في قصده، جاهلاً في غرضه مع استحالة قوله: «فاصبحت مولاها» مبيناً له ذلك بعد العقد دون ما قبله، وهو على ما ذهبت اليه عنى أمراً قد كان حاصلاً له لامحالة عند الخلق قبل العقد من النصرة التي يشترك فيها جميع أهل الاسلام، وهذا باب يكشف عن صحة القول فيه تأمل شعر المادح، ويستدل على اغراضه، ويعرف به حقيقة ما قلناه عند الانصاف دون ما تأولت.

فأما اعتذارك في شعر الكميت بذكر عقده، وجواز الغلط في العقد، فانه من أعجب شيء، وذلك ان عقده في معنى اللفظ لم يكن من طريق العقول ولا القياس، فتجيز عليه الغلط فيه، وانما كان من جهة اللغة اذ كانت معاني الألفاظ لا يرجع أحد من أهل العقل في عبارتها المستحقة لها الى غير اللسان، فلو جاز أن يتوهم على الكميت أن يغلط في اعتقاده معنى لفظ «المولى» حتى يجعله عند نفسه ما لم يجعله عربي قبله قط

مع جلالته في اللغة لجاز أن يتوهم على جرير[١] والأخطل، والفرزدق[٢].

بل على من تقدمهم مثل امرئ القيس[٣]، وزهير[٤] ونحوهما من شعراء الجاهلية وضع «رجل» و «فرس» و «حمار» على ما لم يضعه أحد من العرب قبلهم عليه، بل لا ينكر أن يكون من تقدم هؤلاء أيضاً قد فعلوا ذلك ومثله، وهذا هو الذي قدمناه من غلق باب اللغة والحيلة من افساد الشريعة، وهو يكفي في اسقاط ما ذكرته عن القيس اذ كان شيئاً

---

(١) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي من تميم، ولد باليمامة سنة ٢٨ ومات بها سنة ١١٠، قيل: ١١١ هجرية. وكان جرير أشعر أهل عصره، وكان هجّاءً مراً، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. الأغاني ٨: ٨٩، خزانة الأدب ١: ٣٦.

(٢) همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق شاعر من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثرة في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس، له مهاجات مع الأخطل وجرير، مات في بادية البصرة سنة ١١٠ هجرية وقد قارب المئة. الأغاني ٩: ٢٢٤.

(٣) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو من كندة، أبو الحارث وقيل: أبو وهب، اختلف في اسمه فقيل: حندج، وقيل: مليكة، وقيل: عدي.

ويقال ان امرأ القيس هو أول من قصّد القصائد، ووضع قواعد للشعر العربي، كما كان أول من أنشأ القصائد التي يستوقف فيها الشاعر خليليه ليبكيا معه، وبذلك بعث روحاً جديداً في الشعر العربي الذي كان مقصوراً على الرجز، انظر الأغاني ٩: ٧٧، دائرة المعارف الاسلامية ٢: ٦٢٢.

(٤) زهير بن أبي سلمى، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث بن مازن، هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، قال جرير: شاعر أهل الجاهلية زهير. الأغاني ١٠: ٢٢٨.

واحداً.

فاما ما دفعت به حكايتنا عن حسان بمذهبه المشهور، فليس بشيء يعتمد عليه، وذلك انه لا يمتنع عندي وعندك، بل عند كل أهل العقل أن يعتقد الانسان مذهباً في وقت، ثم ينصرف عنه الى غيره في وقت آخر، ويظهر قولا في زمان، ثم يظهر ضده في زمان آخر، وهو قول حسان المتضمن للشهادة على امامة علي عليه السلام بخبر الغدير بعينه عند القول، وذلك ان الرواية جاءت بأنه استأذن رسول الله صلّى الله عليه وآله عندما سمع منه في أخيه أمير المؤمنين عليه السلام أن يقول شعراً، فأذن له فقال ذلك الشعر، وليس بمنكر أن يؤثر الدنيا بعده، ويرغب عن الآخرة فيمدح أعداءه ويذمه هو بعد ان مدحه.

وقد كان زياد بن مرجانة[1] بلا خلاف بين الأمة من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، ومن أشد الناس حباً له وولاية في الظاهر، ثم آل أمره الى التشيع لعثمان والاغراق في مدحه، وذم أمير المؤمنين عليه السلام والاغراق في سبّه، فما ينكر أن يكون حال حسان كحاله، ولا يستحيل

---

(١) قال الذهبي: زياد بن أبيه، الأمير. لا تعرف له صحبة، مع انه ولد عام الهجرة، قال ابن حبان في الضعفاء «ظاهر أحواله المعصية، وقد أجمع أهل العلم على ترك الاحتجاج بمن كان كذلك». وقال ابن عساكر: لم ير النبي صلّى الله عليه وسلم، وأسلم في عهد أبي بكر، وولي العراق لمعاوية.

وكان زياد كاتباً للمغيرة بن شعبة، ثم لأبي موسى الأشعري أيام امرته على البصرة، ولّاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إمرة فارس ولما استشهد عليه السلام امتنع زياد على معاوية، وتحصّن في قلاع فارس، وألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤ هجرية، فقدم زياد عليه، فكان زياد عضده الأقوى. ميزان الاعتدال ٢ : ٨٦، الأعلام ٣: ٥٣.

صحة هذا الشعر منه.

فأما قولك: ان الشيعة ليس يدفع فصاحة أكثرها، غير ان ما تدعيه في لفظ «مولى» غلط منها من جهل العقد، فالكلام فيه كالكلام في باب قيس والكميت حرفاً بحرف.

مع انك قد أغفلت موضع الاعتماد، وهو انا اعتمدنا انتشارها عن سلفها من أهل الفصاحة، وعن أهل بيت نبيها عليهم السلام خلفاً عن سلف، الى أن ينتهي الى من حضر منهم يوم الغدير، انهم اعتقدوا امامة أمير المؤمنين عليه السلام بالقول، وفهموها منه، وعلموها يقيناً بقصد رسول الله صلّى الله عليه وآله الى افهامهم، واشارته اليها عليهم، وليس هذا مما يقع الغلط فيه قياساً ولا عقلا، بل انما يقع ان وقع حساً وسماعاً، وهذا باطل لا محالة، فيعلم انك لم تعلم مما قلناه شيئاً البتة.

فقال صاحب المجلس حين انتهيت الى هذا الموضع: وان شيخنا ـ أعزه الله ـ قد اعتمد أصلاً صحيحاً، وهو أن ما طريقه اللغة فسبيل التوصل اليه سلوك طريقه دون التجاوز الى غيره.

وقد رأينا جماعة ممن لا يختلف الناس في معرفتهم باللغة، ولا يطعن عليهم في علمها، وقد صنفوا الكتب المرجوع اليها من هذا الباب، كالخليل بن أحمد[1]،

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري قال السيرافي: كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه، وهو أول من استخرج العروض، وحصر أشعار العرب بها، وعمل أول كتاب «العين» المعروف المشهور الذي به يتهيا ضبط اللغة.

وقال غيره: روى عن أيوب وعاصم الأحول وغيرهما، واخذ عنه سيبويه والأصمعي والنضر بن شميل، وكان خيراً متواضعاً ذا زهد وعفاف.

←

وأبي زيد[١]، وفلان وفلان، ثم لم يذكروا في موضع من كلامهم ولا تصنيفاتهم[٢] ان (المولى) امام، فعلم ان ما ذكره من دخول الشبهة على الشيعة في معنى اللفظ صحيح، إذ لم يكونوا راجعين فيها الى أحد من عددناه، وهم أئمة اللغة.

فأما أمر الكميت فانه يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون عبر عن الامامة بلفظ (المولى) لا عتقاده الامامة بها، ولا يكون ذلك معروفاً عند أهل اللسان.

والوجه الآخر: أن يكون اتّقى الله في معنى الامامة من لفظة (مولى) يومى الى أنه تعمد الكذب في ذلك على أهل اللغة فلم يتق الله على القلب والصدر.

والوجه الآخر: أن يكون اعتقد أنّ ما جرى يوم الغدير يوجب له التفضيل على الكل، والتفضيل علامة الامامة على ما ذهب اليه جماعة الراوندية[٣] واعتقدوا امامة أمير المؤمنين عليه السلام من جهة فضله فيما

→

توفي الخليل سنة خمس وسبعين ومائة، وقيل: سنة سبعين وقيل ستين وله أربع وسبعون سنة، انظر بغية الوعاة ١ : ٥٦.

(١) سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن قيس، أبو زيد الأنصاري، كان اماماً نحوياً، صاحب تصانيف أدبية ولغوية وغلبت عليه اللغة، روى عن رؤبة بن العجاج، وعمرو بن عبيد، وأبي عبيد القاسم بن سلام وطائفة.

مات سنة خمس عشر ومائتين، وقيل: أربع عشر، وقيل: ست عشرة عن ثلاث وتسعين سنة بالبصرة. انظر بغية الوعاة ١ : ٥٨٢.

(٢) في «ج» مصنفاتهم.

(٣) قال النوبختي في فرق الشيعة: ٤٧ «الراوندية، وهم العباسيّة الخلص الذين قالوا: الامامة لعم النبي صلّى الله عليه وآله العباس بن عبد المطلب رحمة الله عليه، وتثبت

←

زعموا على الكل، لا من جهة النص.

فأما حسان، فما سمعنا منك قولاً عنه فكنّا نتامله، وننظر معناه، غير انك أضفت اليه في الجملة مثل ما أضفت الى الكميت، وهلم ما قال حسان لكي ننظره كما نظرنا ما تقدم.

فقلت له: ما أنكرت على من قال لك: ان الذين وصفتهم بمعرفة اللغة، وجعلتهم أئمة فيها، وأشرت الى وجوب الرجوع اليهم فيما تعلق بها، ليس هم[1] الحجة بانفرادهم دون غيرهم، ولا كل من عداهم من أهل اللغة راجعاً اليهم، بل لو قالوا قولا بأجمعهم، وخالفهم عليه مثلهم في العدد أو دونهم، ممن قد اشتهر أيضاً بمعرفة اللغة وان لم يكن له مصنف يأتي به، لوجب الترجيح عندك بين القولين، والنظر في المذهبين، حتى لو انهم أنكروا شيئاً فجاء بصحته رجل من أهل البادية لشاع لمحبّه، ولم يمتنع بانكارهم.

وإنّما كان يسلم لك ما تعلقت به، لو كان من عددت وذكرت جميع أهل اللغة المرجوع اليهم، كيف والذين عددت، انما هم في جملة أهل اللغة كالجزء الذي لا يتجزأ في أكثر العالم، فليس لك بهم تعلق مع انك لم تجد عنهم النكير على من جعل (المولى) إماماً وبمعنى الامام، ولم ترجع في ذلك الى شيء من كتبهم ومصنفاتهم، وانما رجعت خلو الكتب والمصنفات من تسطير ذلك، وليس خلوها منه دليلاً على فساده، لا سيما وقد بينا اثبات من لا يطعن عليه من أهل اللغة، ان الامامة بلفظة (مولى)

←

على ولاية أسلافها الأولى سراً، وكرهوا أن يشهدوا على اسلافهم بالكفر، وهم مع ذلك يتولون أبا مسلم ويعظمونه، وهم الذين غلوا في القول في العباس وولده.»

(١) «ج» تتم.

واستشهدنا بأشعارهم التي هي أشهر عنهم من أن يجحد لو أمكن انكارها ولا خلاف بين أهل العلم ان المثبت في هذا الباب واشكاله أولى من النافي.

فأما ما قسمته[1] من أمر الكميت، فان القسم الأول منه قد أتينا عليه بما لم نسمع له جواباً.

والثاني: قد مضى أيضاً ما هو اسقاط له، وهو أنه إن جاز أن يتوهم على الكميت وهو أحد من استشهد بشعره في كتاب الله عز وجل، وفاق في النظم شعر أهل عصره، وبلغ في الفصاحة الرتبة التي لم يخف على أحد من اهل الأدب أن يكون حملته العصبية والعناد على أن يتّقي الله تعالى على ما وصفت بالقلب، ويستعمل عبارة لم يستعملها أحد قبله، ويضع لفظاً على غير معناه، حتى يسيّره في الشعر، ويظهر التدين به، لم يأمن أن يكون كثير من فصحاء الجاهلية الذين لم يعتقدوا الايمان فيحجزهم عن الكذب دون أن يكونوا كالكميت في الديانة، قد وضعوا أكثر[2] هذه الألفاظ الذي نضعها نحن على المعاني الان، ولم يكن لها قبل، بل كانت على غيرها، ومعهودة في سواها لعصبية على طائفة منهم لغرض من الأغراض، أو محبة الابداع، ليعرفوا بالخلاف أو عناداً لبعض منهم، أو لسبب من الاسباب فاتقوا الله تعالى في ذلك على حسب اتقاء الكميت في لفظة (مولى) ويكونوا به أخلق وفعلهم له أجدر، وهو عليهم ومنهم أجوز، وهذا هدم للاصل بأسره، وافساد اللغة جميعاً، وتشكيك فيها جملة، وهو باب الالحاد.

فأما الوجه الثالث: فانه تأويل فاسد بين الاحالة، وذلك انه لو كان

---

(١) في «ج» ما يسميه.

(٢) في «ج» أكثرهم.

كما وصفت جعلت اماماً باعتقاد الفضل لا بالقول، لعلّق ما يعنيه به من الولاية على الجميع والرئاسة بذكر الفضل بعينه دون القول الذي لم يوجبه البتة وانما كان على ما زعمت عنده كاشفاً عن رتبة بها يستحق ذلك الوصف، أو كان اذ ذكر القول لا يقتصر عليه في باب الرئاسة دون ما يوجبه من الفضل، بل يضم أحدهما الى الآخر.

فلما أفرد القول نفسه، دلّ على انه لم يرد ايجاب الامامة بغيره، كيف وهو مع هذا يعدد في جميع قصائده المشهورة في مدائح بنى هاشم فضله، الذي بان به من الكل شيئاً بعد شيء، وخصلة بعد خصلة، ولا يوجب له الامامة عند ذكر شيء فيه بلفظه، حتى اذا انتهى الى يوم الغدير بعينه.

فالامامة بنفس القول الواقع فيه دون ما سواه، فهل يخفى هذا الباب[1] على أحد، أو يمكن تأويله مع ما وصفنا إلّا عند إمكان تأويل جميع أقوال الشعراء على غير اغراضهم، وصرفها بأسرها عن مراداتهم.

وأما استشراحك اياي شعر حسان، فانّي لم أنصرف عنه الى الاجمال[2] إلّا لعلمي بشهرته عندكم واستفاضته، فكان اقتصاري على ما مضى من نظيره في الشهرة من الشعر يغني عن ذكره معيناً.

فأما اذا رمتم شرحه، فهو قوله عند نصب رسول الله صلّى الله عليه وآله علياً عليه السلام في يوم الغدير بعد استئذانه في قول الشعر والاذن له في ذلك على ما جاء في الاخبار[3].

---

(١) ليس في نسخة «ج».

(٢) في «ج» الأجمال. وفي غيرها: الإكمال.

(٣) المناقب لاخطب خوارزم: ٨٠، وفرائد السمطين ١: ٦١، ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٤٧، وأرجح المطالب: ٥٦٧.

ينـاديهـم يوم الـغـدير نبيهـم ... بخم وأسمع بالـرسـول مناديا
فقـال: فمـن مولاكـم ووليكم ... فقـالـوا، ولم يبدوا هناك التعاديا
الهـك مولانـا وأنـت ولـينـا ... ولن تجدن منـا لك اليوم عاصيا
فقـال له: قم يا علي فانـني ... رضيتـك من بعدي اماماً وهاديا
فمـن كنـت مولاه فهـذا ولـيه ... فكـونـوا له أنصـار صدق مواليا
هنـاك دعـا الـلهـم وال ولـيه ... وكـن للذي عادى علياً معـاديا

وهذا صريح في الاقرار منه بامامة أمير المؤمنين عليه السلام، من جهة القول الكائن في يوم الغدير، من رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السلام، لا يمكن تأويله، ولا يسوغ صرفه الى غير حقيقته.

فقال صاحب المجلس: هكذا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في يوم الغـدير: «قم يا علي فانني رضيتـك للعالم إماماً» كما قال حسان فيما اضفته [اليه؟ فان كان قال ذلك فقد سقطت الخصومة، ولا حاجة بك الى التعلق][1] بلفظة (مولى) مع احتمالها.

وان كان انما قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه) على ما تقدم القول فيه فهذا القول الذي حكيته عن حسان كذب لا محالة، والكذب سبيلنا جميعاً أن نطرحه.

فقلت له: ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وان لم يكن قال هذا القول مفصلاً، حتى حسب تفصيل حسان له، فقد أتى بمعناه بأخصر لفظ وأفهمه، فافتقر حسان في شرحه الى ما حكيناه عنه من القول، وليس كل حكـاية تضمنت غير[2] لفظ المحكي وان أفـادت المعنى مطرحة ولا

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة «ج».
(٢) في «ب» عين.

مستدلا بها على كذب الحاكي، ولا غلطه.

ولو كان ما اعتمدت عليه اعتماداً لا ستحال حكاية العربي بالفارسي، والفارسي بالنبطي، والعبراني بالسرياني، وبطلت جميع الحكايات المنظومة اذكان ما حكى بها غيرمنظوم،وهذا يوجب أن لايكون أحد من الشعراء المتقدمين ولا المتأخرين صدق في حكاية قضية مضت، وحكمة نقلت، وذكر كرم وجد، وفعل عجيب وقع، الّا اذا حكوه بالفاظه الجلية عيناً، وذكروه على ترتيب التعبير سواء، وهذا ما لا نذهب اليه، ولا أحد من أهل النظر فنشتغل في الاطناب فيه.

فعاد صاحبي المتكلم أولا فقال: ان الذي أتيت به من شعر الأخطل فانه وان لم يكن أراد بقوله: «فأصبحت مولاها» الخلافة على ما قلت، وأراد قريشاً على ما وصفت، فليس أيضاً فيه دلالة على ما ذهبت اليه، وذلك انه أراد بـ «مولى» أي ناصر قريش، ومن يجب أن ينصره قريش، والكميت فقد قلنا إنه لا يستحيل أن يكون اعتقد فضل أمير المؤمنين عليه السلام على الكلّ بما جرى يوم الغدير، فأوجب له الامامة به لا من جهة القول.

فراسله الكلام صاحب المجلس ها هنا فقال: ويمكن أن يكون غلط وان كان من أهل اللغة، وان امرء القيس مع جلالته في معنى صاحبه قد غلطه جماعة في شيء ذكره عنه لم أحفظه في وقت اتياني هذه المسألة، وهو نفسه ـ أعني الكميت ـ قد غلط في قوله:

أبرق وأرعد يايزيـ ـد فما وعيدك لي بضائر[1]

فلم ينكر غلطه في لفظة «مولى» وان كان على الصفة التي هو عليها

---

(١) حكاه ابن منظور في لسان العرب ١٠ : ١٤.

في اللغة.

فقال المتكلم أولاً: الأمر كما وصفه سيدنا ـ أدام الله عزه ـ يعني صاحب المجلس ـ ويمكن أيضاً ما قلناه.

وتكلم رجل منهم من آخر المجلس فقال: وكيف وهم يدعون ـ يعني أصحابنا ـ ان رسول الله صلّى الله عليه وآله قال في ذلك لعلي عليه السلام: «أنت أمير المؤمنين» فلا يستحيل أن يكون الكميت عمل على هذا فقال ما قال في شعره من جهته، ولم يقله من جهة لفظة «مولى».

وتكلم قوم من جنبات المجلس، واختلط كلامهم، فسكتهم، ثم أقبلت على صاحبي المتكلم الأول مهماً: ما (أنكرت على من)[1] قال لك: ان ما لجأت[2] اليه أيضاً في هذه النوبة مع تسليم ان «الهاء» كناية عن قريش من أن «المولى» هو الناصر، وانما أراد نصرته لقريش، ونصرتهم له يسقط من قبل ان نصرة قريش لم يتجدد وجوبها عليه بالعقد له بالامامة، بل هي لازمة (نصرتهم له[3]) قد تقدم وجوبها عليهم قبل العقد له من جهة السنة والكتاب والاجماع على وجوب نصرة المسلم للمسلم، والمتدين أخاه في الدين.

فلم يك يحتاج في وجوبها الى طلب كرم أبيه وفضله كما زعم الشاعر في طلب قريش ذلك حيث يقول ما ذكره:

فما وجـدت فيهـا قريش لامرها ... أعـف وأوفى من أبـيك وأمجـدا
واورى بزنـديه ولـو كان غيره ... غداة اختلاف الناس أكدى وأصلدا

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة «ج».

(٢) في «ج» ما لحق.

(٣) في «ج» نصرتهم.

تجدد حال بعد أن لم تكن

فاصبحت مولاها من الناس كلهم واحرى قريش أن تهاب وتحمدا[١]

ولولا أن الأمر على ما قلناه دون ما قلت، ما كان وجوب نصرته لهم ونصرتهم له مما يوجب تهنئته وحمده دون سائر الناس الناصرين والمنصورين، اللهم الا أن يكون نصرة امامة، وسلطان رئاسته، فيعود الأمر الى ما قلناه، وقد قدمت ان تأمل الشعر بعين الانصاف يؤكد قولنا، ويبطل ما خالفه دون النظر والاحتجاج، وقد بان ذلك والحمد لله.

ثم أقبلت على صاحب المجلس، فقلت: ما قاله سيدنا ـ أدام الله عزه ـ في غلط امرئ القيس عند من غلطه، والكميت في بيته من الشعر الذي طعن فيه، فقد رضينا به شاهداً، وذلك ان الذي غلطهما من منتحلي اللغة شذ بتغليطهما من سائر أهلها، وتفرد في الحكم بما لم يوافقه عليه أحد من رؤساء علمائها، وصار في ذلك فرداً من بينها، ومسناً في الشذوذ من جملتها، ولم يكن كذلك الا لرئاستهما في المعرفة، وتقدمهما في الصناعة وكونهما قدوة لمن نشأ بعدهما.

واذا كان كذلك، فواجب أن تكون هذه الحال حال من غلط من عددناه في لفظة «مولى» وما عبر بها، وهذا يؤكد ما قلناه ويزيده بيانا ويسقط ما خالفه وضاده في معناه، على أن البيت الذي حكى عن الأصمعي[٢] الطعن فيه على الكميت ـ رحمة الله عليه ـ بخلاف بيته

---

(١) أبيات من قصيدة قالها الأخطل في مدح عبد الملك بن مروان.

(٢) أبو سعيد، عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الأصمعي، صاحب اللغة والنحو والغريب، سمع شعبة بن الحجاج والحمادين ومسعر بن كدام وغيرهم، ←

المتضمن النص على أمير المؤمنين عليه السلام بخبر الغدير في الحكم، وذلك انه انما ساغ لمن طعن فيه الطعن لتفرده دون متقدم متبوع، ولا قرين مماثل مذكور، مع ما في ظاهر اللغة المشهورة في خلافه، وان كانت له فيه حجج يعتمد عليها ودلائل يلجأ في جوازه اليها.

وما تأوله من خبر الغدير وصرح به فيه، فقد سبقه اليه من يعتمد في باب القول عليه ممن عددناه من أهل الفصاحة من الصحابة وأهل البيت عليهم السلام، وحكموا فيه بمثل ما حكم، وطابقه عليه وسائر أهل عصره من الشيعة، ومن (نشأ بعده)[1] من أهل الفصاحة، فلم يك عروضاً لذلك، ولا نظيراً له من وجه من الوجوه.

ثم شرعت في افساد ما تعلق به الرجل الذي حكيت اعتراضه بالخبر الوارد في يوم الغدير في السلام على عليّ بامرة المؤمنين، فامتنعوا من استماعه.

وقال صاحبي المتكلم: الكلام معي دونه، وليس يجب أن تكلم كل من كلمك، فيذهب الزمان، وفروا من الكلام عليه كل الفرار، ثم شرع في كلام أورده لم أحفظ فيه زيادة على ما تكلم بعدم موافقته على معاني ما اسقطته به مما تقدم من كلامي، وانقضى المجلس وانصرفنا.

←

وروى عنه ابن أخيه عبد الرحمن بن عبد الله، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وابو حاتم السجستاني وغيرهم. كان من أهل البصرة، وقدم بغداد في أيام هارون الرشيد، ومات سنة ٢١٠ هجرية، انظر تاريخ بغداد ١٠ : ٤١٠، انباه الرواة ٢ : ١٩٧.

(١) في «ج» يشاهده.

«فصل»

اعلم أرشدك الله: ان نفس ما اعتمدوا عليه في دفعنا عن معنى لفظة «مولى» يفسد عليهم بالذي راموا به فساد دليلنا في صحته من الشعر والرواية بعينه، وذلك انه يقال لهم: اذا كنتم قد تركتم حال من ذكرناه من أهل الفصاحة، وجعلنا اعتمادنا ثلاثة منازل:

أحدها: الجهل والغلط.

والثاني: العصبية والعناد.

والثالث: التأويل المتعلق بالاعتقاد.

فما أنكرتم ان تكون هذه الثلاثة المنازل حال من دعوتمونا الى الرجوع اليه والى كتبه ومصنفاته، وزعمتم انهم العماد في هذا الباب، اذ لم يكونوا معصومين من ذلك، ولا مبرأين منه، ولا علم عليهم في دفع جوازه منهم، بل كانت أحوالهم داعية اليه، وأسبابهم مقربة منه، ودواعيهم موقعة فيه، لأنّه قد فصلت لهم الرئاسة لا شك من جهة من كان يدفع نص النبي صلّى الله عليه وآله على أمير المؤمنين عليه السلام بالامامة، ويتدين بذلك، ويلبث[1] عليه معاقب، وقد علم كل عاقل تأثير الرغبة والرهبة في الحق وستره، والباطل وقسره، وهذا مالا يجدون فيه فصلاً.

---

(١) في «ج» وثبتت.

«فصـل»

وقد كنت ذكرت بعد انصرافي من المجلس شيئاً من كتاب غريب القـرآن لأبي عبيدة معمـر بن المثنى[(١)]، يبطل دعواهم التي اعتمدوها، وتغلطهم فيها، ذاكرت بها بعضهم بعد ذلك، وهو ان أبا عبيدة وظاهر أمره ومذهبه المشهور الخلاف على الشيعة، والمضادة لهم، قال في كتاب غريب القــرآن، في تفسـير قولـه عز وجـل، في سورة الحـديد: ﴿هي مولاكم﴾ أي أولى بكم، قال لبيد[(٢)]:

فغـدت كلا الفرجين تحسب أنه   مولى المخافـة خلفهـا وأمـامها

هذا لفظه بعينه، في كتابه بعينه، لا زيادة فيه ولا نقصان منه، ولولا أن ابا عبيدة لم يخطر بباله عند تفسير هذه اللفظة بهذا التفسير ما للشيعة من التعلق في امامة أمير المؤمنين عليه السلام ما صرح به ولكتمه كسلفه واخوانه ومضى على سنتهم، والله ولى الحمد في اتمام نوره ولو كره المشركون.

---

(١) أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري النحوي، ولد في البصرة سنه ١١٠ هجرية، كان من أئمة العلم بالأدب واللغة، قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه، له نحو ٢٠٠ مؤلف، مات بالبصرة أيضاً سنة ٢٠٩ هجرية وقيل غير ذلك، انظر تاريخ بغداد ١٣ : ٢٥٢.

(٢) لبيد بن ربيعـة بن مالـك بن جعفـر بن كلاب العامري، أبو عقيل، من الشعراء المخضرمين، أدرك الاسلام، وقدم على رسول الله صلّى الله عليه وآله في وفد بني كلاب فاسلمـوا ورجعوا الى بلادهم، ثم قدم لبيد الكوفة ومات بها في زمن معاوية بن أبي سفيان، وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة، انظر الشعر والشعراء: ١٤٨.

«فصـل»

ويقال لمن اعترض [١] فقال: ما أنكرتم أن يكون الكميت بن زيد رحمة الله عليه انما عنى بقوله:

ويوم الـدوح دوح غدير خم ... أبـان له الـولاية لو اطـيعـا

ما جاء في الخبر ان رسول الله صلّى الله عليه وآله أمر الناس في ذلك اليوم بالسلام على عليّ بامرة المؤمنين، فتوهمه صحيحاً يعمل عليه، ولم يعن قوله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» لانه كان من أهل الفصاحة، ولم يك يجهل مثل هذا، فبطل ما تعلقتم به.

أول ما في هذا الباب انه لو كان على ما وصفت، لكان من أدلّ دليل على تكذيب أصحابك جميعاً، أو بطلان دعواهم على الشيعة انه لم يك أحد منهم فيما مضى يدعي الامامة لأمير المؤمنين عليه السلام من جهة القول الصريح، حتى قذفه اليه ابن الراوندي وافتعله ورتبه، فتعلقوا به، واحدثوا الاحتجاج والذّب عنه، وهذا اسقاط لكافتهم، وطعن لا شبهة فيه على سائر شيوخهم ممن تأخر وكان في عصر ابن الراوندي وبعده، كانهم بأجمعهم يدعون ذلك ويقولون به، ويستغرون[٢] الجهال، لا سيما وشيخهم الأجل أبو علي اعتماده عليه، وهذا مما لا به نفس الذي قدمت حكاية الاعتراض عنه، ولا أحد منهم كافة الآن.

---

(١) في «ج» اعرض.

(٢) في «ج» ويشعرون.

«فصـل»

ثم يقال له: ان الروايات التي جاءت بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله أمر الأمة أن تسلم في يوم الغدير على أمير المؤمنين عليه السلام بامرة المؤمنين، انما جاءت بانه لما قرر الأمة على فرض طاعته، ثم قال عقيب ذلك «فمن كنت مولاه فعلي مولاه» واستوفى الكلام فيه أمر الأمة حينئذ أن تقر له بمعنى ما جعله له بلفظة «مولى» فقال لهم: سلموا عليه بامرة المؤمنين، كان أمره عليه السلام اياهم بذلك كشفا عن معنى اللفظ، وجارياً مجرى التفسير، وأخذاً بالأقرار بالمعلوم، وتأكيد المقصود، وهذا موضح عن صحة ما قلناه نحن في لفظة «مولى» له.

وشيء آخر: هو ان المقام اذا وجد فيه شيئان اجمع على أحدهما، واختلف في الآخر، وكتم التعلق به في مدح ان كان ما وقع فيها مدحاً، أو ذماً ان كان ذماً ونظم المتعلق به شعراً، أو تكلم فيه نثراً، فمحال أن يقصد الى المختلف منه دون المتفق عليه، والمكتوم دون المشهور، إلّا أن يكون في غاية الجهل والعناد والنقص.

وليس يتوهم بالكميت رحمه الله هذه المنازل وان كان يطعن عليه في الغلط من جهة الرأي والقياس، وما يقع من العقلاء الألباب بالشبهات.

واذا كان الأمر على ما وصفناه، وكان قوله عليه السلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه» مجمعاً على انه كان في يوم الغدير وظاهر ذلك عام في الكل، حتى لا يذكر الغدير الا ويراد بذكره مقدمة القول، ولا يقال القول الا وسائر مستمعيه ذاكرون به المقام، ولم يك ما اختصت به الشيعة من قوله عليه السلام في ذلك اليوم: سلموا على عليّ بامرة المؤمنين يجري هذا

المجرى، بل كان على ما تقدم وصفه من المختلف فيه، المجحود المختص بطائفة دون اخرى، دلّ ذلك على أنه لم يرده الكميت، وقد أجمل التعلق بالغدير ويومه، ولم يفصل ما فيه.

وشيء آخر وهو: ان الشيعة لم تقتصر في ادعاء النص على يوم الغدير بدون غيره، بل قد روته في يوم الدار عند دعوة بني هاشم، ووافقها على ذلك جمهور أصحاب الحديث من العامة وغيرهم، وفي اماكن شتى، ومقامات اخر، فكيف يصح أن يكون اراد ذلك الكميت، فلم يعلّقه بيوم الدار، مع استفاضته في الطائفتين ولا بغيره مما عددناه، وعلقه بيوم الغدير، وهو يرى الشيعة كلها تعتمد من يوم الغدير في الامامة على لفظة «مولى» للاجماع خاصة، دون ما كان بعدها مما رووه وأقلوا من الاحتجاج به لموضع الخلاف، وهذا ما لا يتوهم أحد، وبالله نستعين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

* * *

قال الكراجكي رضوان الله عليه في كنز الفوائد

دليل النص بخبر الغدير على امامة امير المؤمنين صلوات الله عليه

اعلم ان مما يدل على انه المنصوص عليه بالامامة ما نقله الخاص والعام من
ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما رجع من حجة الوداع نزل بغدير خم ولم
يكن منزلا ثم امر مناديه ينادي في الناس بالاجتماع فلما اجتمعوا خطبهم ثم
قررهم على ما جعله الله تعالى له عليهم من فرض طاعته وتصرفهم بين امره ونهيه
بقوله الست اولى بكم منكم بانفسكم فلما اجابوه بالاعتراف واعلنوا بالاقرار
رفع بيد امير المؤمنين عليه السلام وقال عاطفا على التقرير الذي تقدم به الكلام
من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره
واخذل من خذله فجعل لامير المؤمنين عليه السلام من الولاء في اعناق الامة مثل ما
جعله الله تعالى له عليهم مما اخذ به اقرارهم لان لفظة مولى يفيد ما تقدم من
التقرير من ذكر الاولى ووجب ان يريد بكلامه الثاني ما قررهم عليه في الاول
وان يكون المعنى فيهما واحدا حسبما يقتضيه استعمال اهل اللغة وعرفهم
في خطابهم وهذا يوجب ان يكون امير المؤمنين عليه السلام اولى بهم من انفسهم
ولا يكون اولى بهم الا وطاعته فرض عليهم وامره ونهيه نافذ فيهم وهذه رتبة
الامام في الانام فقد وجبت بالنص لامير المؤمنين عليه السلام واعلم ايدك
الله انك تسأل في هذا الدليل عن اربعة مواضع اولها ان يقال لك ما الحجة
على صحة الخبر في نفسه فانا نرى من يبطله وثانيها ان يقال لك ما الحجة
على ان لفظة مولى يحتمل اولى وانها احد اقسامها وثالثها اذا ثبت انها

احتملها

احد محتملاتها فما الحجة على ان المراد بها في الخبر الاولى دون ما سوى ذلك من اقسامها ه ورابعها ما الحجة على ان الاولى هو الامام ومن اين يستفاد ذلك في الكلام ه

الجواب عن السؤال الاول

اما الحجة على صحة خبر الغدير فما يطالب بها الا متعنت لظهوره وانتشاره وحصول العلم لكل من سمع الاخبار به ولا فرق بين من قال ما الحجة على صحة خبر الغدير وهذه حاله وبين من قال ما الحجة على ان النبي عليه السلام حج حجة الوداع لان ظهور الجميع وعموم العلم به بمنزلة واحدة ه وبعد فقد اختص هذا الخبر بما لم يشركه فيه سائر الاخبار ه فمن ذلك ان الشيعة نقلته وتواترت به وقد نقله ايضا اصحاب السير نقل المتواتر به يحمله خلف منهم عن سلف وضمنه جميعهم الكتب بغير اسناد معين كما فعلوا في ايراد الوقائع الظاهرة والحوادث الكائنة التي لا يحتاج في العلم بها الى سماع الاسانيد المتصلة الا ترى الى وقعة بدر وحنين وحرب الجمل وصفين فيما لا يفتقر في العلم بصحة شيء من ذلك الى سماع اسناد ولا اعتبار باسماء الرجال لظهوره المغني وانتشاره الكافي وينقل الناس له قرنا بعد قرن بغير اسناد معين حتى عمت المعرفة به واشترك الكل في ذكره وقد جرى خبر يوم الغدير هذا المجرى واختلط في الذكر والنقل بما وصفنا فلا حجة في صحته اوضح من هذا ه ومن ذلك انه قد ورد ايضا بالاسانيد المتصلة ورواه اصحاب الحديث من الخاصة والعامة من طرق في الروايات كثيرة فقد اجتمع فيه الحالان وحصل له السببان ه ومن ذلك ان كافة العلماء قد تلقوه بالقبول وتناولوه بالتسليم فمن شيعي يحتج به في صحة

العقل للامامة ومن ما صح تناوله وجعله دليلاً على فضيله ومنزله جليله ولم يزل
للمحال العقل ونحو لا تجردوا في ابطاله ولا وجدناهم قبل ما وليه قد قدموا كلاماً في دفعه
وانكاره بل كانوا يجرونه مجرى سائر الاخبار المشتهرة ولو انهما بعد الابانة عن
بطلانها وفسادها بل اسندوا ابدا وابنا ولم ابتدأ من لا يحتج بقوله في دفعه ونحو قوله
تاويل جميع الوجوه له تقريرا من قد لزمه الاقرار به وقد كان انكاره اروح لهم لو قدروا
عليه وجحده اسهل عليهم لو وجدوا اليه سبيلا فاما ما يحكى عن ابي داود السجستاني
من انكاره له وعن الجاحظ من طعنه في كتاب العثمانية فيه فليس بقادح في الاجماع
الحاصل على صحته لان القول الشاذ لا يؤثر في الاجماع وكذلك الراي المستحدث
لو ابطل ما تقدم الاتفاق لم يصح الاحتجاج بالاجماع ولا ثبت التعويل على الاتفاق وقد
على ان السجستاني قد تنصل من نفي الخبر واما الجاحظ فطريقته المشهورة في
تصنيفاته المختلفة واقواله المتضادة المتناقضة وتاليفاته القبيحة في اللعب
والخلاعة وانواع السخف والمجانة الذي لا يرتضيه لنفسه ذو عقل وديانه
يمنع من الالتفات الى ما يحكيه ويوجب التهمة له فيما ينفرد به ويأتيه . واما
الخوارج الذين هم اعظم الناس عداوة لامير المؤمنين صلوات الله عليه فليس يحكى
عنهم صادق دفعا للخبر والظاهر من حالهم حملهم له على وجه من التفضيل
ولم يزل القوم يقرون لامير المؤمنين عليه السلم بالفضائل ويسلمون له المناقب
وقد كانوا انصاره وبعض اعوانه وانما دخلت الشبهة عليهم بعد التحكيم فزعموا
انه خرج عن جميع ما كان يستحقه من الفضائل بالتحكيم وقد قال شاعرهم
كان علي قبل تحكيمه جلدة بين العين والحاجب

ولو لم يكن الخبر كالشمس وضوحاً لما احتج به امير المؤمنين عليه السلم يوم الشورى حيث
قال للقوم في ذلك المقام انشدكم الله هل فيكم احد اخذ رسول الله صلى الله
عليه وآله بيده فقال من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
غيري قالوا اللهم لا فاقر القوم به ولم ينكروه واعترفوا بصحته ولم يجحدوه
فان قال قائل فما باله لم يذكر في حال احتجاجه به تقرير رسول الله صلى الله
عليه وآله للناس على انه اولى بهم منهم بانفسهم ولم اقتصر على ما ذكره وهو لا ينفع
في الاستدلال عندكم ما لم يثبت التقرير المتقدم وما جوابكم لمن قال ان المقدمة
لم تصح وليس لها اصل وقد سمعنا هذا الخبر يورد في بعض الروايات وهو عار منها
فما قولكم فيه قيل له ان خلو انشاد امير المؤمنين عليه السلم من ذكر المقدمة لا
يدل على نفيها او الشك في صحتها لانه قررهم من بعض الخبر على ما يقتضي الاقرار
بجميعه اختصاراً في كلامه وغنى بمعرفتهم بالحال عن ايراده على كماله وهذه
عادة الناس فيما يقررونه وقد قررهم عليه السلم في ذلك المقام بخبر الطائر
فقال افيكم رجل قال له رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم ايتني باحب خلقك
اليك ياكل معي غيري ولم يذكر هذا الطائر وكذلك لما قررهم بقول النبي عليه
السلام فيه يوم ندبه لفتح خيبر وذكر لهم بعض الكلام دون جميعه اتكالاً
منه على ظهوره بينهم واشتهاره فاما المتواترون بالخبر فلم يوردوه الا على كماله
ولا سطروه في كتبهم الا بالتقرير الذي في اوله وكذلك رواه معظم اصحاب الحديث
الذاكرين له بالاسانيد وان كان منهم احاد قد اغفلوا ذكر المقدمة فيحتمل ان يكون
ذلك تعويلاً منهم على العلم بالخبر فذكروا بعضه لانه عندهم مشتهر فان اصحاب حديث

كثيراً ما يقولون فلان يروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله خبراً ويريد
بعض لفظ الخبر اختصاراً وفي الجملة فالآحاد المنفرد دون نقل بعضه لا يعا
رض المتواتر من النقل لجميعه على كماله. الجواب ـــــ عن السؤال الا
فأما الحجة على أن لفظة مولى تحتمل أولى وأنها أصل أقسامها فليس يطالب بها أيضاً
كان له أدنى الاطلاع في اللغة وبعض الاختلاط بأهلها لأن ذلك مستفيضة
غير مختلف فيه عندهم وجميعهم يطلقون القول فيمن كان أولى بشيء أنه مولاه وأنا
أوضح لك أقسام مولى في اللسان لنعلمها على بيان. اعلم أن لفظة مولى في اللغة
تحتمل عشرة أقسام أولها الأولى وهو الأصل الذي يرجع إليه جميع الأقسام
قال الله عز وجل فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار
هي مولاكم وبئس المصير يريد سبحانه هي أولى بكم على ما جاء في التفسير وذكره أهل
اللغة وقد فسره على هذا الوجه أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه المعروف
بالمجاز في القرآن ومنزلته في العلم بالعربية معروفة وقد استشهد على صحة
تأويله ببيت لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها

يريد أولى المخافة ولم ينكر على أبي عبيدة أحد من أهل اللغة. وثانيها المالك
للرق قال الله سبحانه ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على
مولاه يريد مالكه واشتهار هذا القسم يغني عن الإطالة فيه. وثالثها المعتِق
ورابعها المعتَق وذلك أيضاً مشهور معلوم وخامسها ابن العم قال الشاعر

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تنشروا بيننا ما كان مدفونا

وسادسها الناصر قال الله عز وجل ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين
لا مولى لهم يريد لا ناصر لهم ٥ وسابعها المتولي لضمان الجريرة ومن يحوز الميراث قال
الله عز وجل ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم
فاتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا وقد اجمع المفسرون على ان المراد
بالموالي هاهنا من كان املك بالميراث واولى بحيازته قال الاخطل
فاصبحت مولاها من الناس بعده واحرى قريش ان تهاب وتحمدا
وثامنها الحليف وتاسعها الجار وهذان القسمان ايضا معروفان وعاشرها
الامام السيد المطاع وسياتي الدليل عليه في الجواب عن السوال الرابع ان شا الله
فقد اتضح لك بهذا البيان ما تحتمله لفظة مولى من الاقسام وان اولى احد محتملاتها
في معاني الكلام بل هي الاصل واليها يرجع معنى كل قسم لان مالك الرق لما كان اولى
بتدبير عبده من غيره كان لذلك مولاه والمعتق لما كان اولى بميراث المعتق من غيره
كان مولاه ٥ والمعتق لما كان اولى بمعتقه في تحمل جريرته والصق به من غيره كان
مولاه ٥ وابن العم لما كان اولى بالميراث ممن هو ابعد منه في نسبه واولى ايضا من
الاجنبي بنصرة ابن عمه كان مولى ٥ والناصر لما اختص بالنصرة وصار بها اولى
كان لذلك مولى ٥ واذا تاملت بقية الاقسام وجدتها جارية هذا المجرى
وعائدة بمعناها الى الاولى وهذا يشهد بفساد قول من زعم انه متى اريد بمولى اولى
كان ذلك مجازا او كيف يكون مجازا وكل قسم من اقسام مولى عائد الى معنى اولى
وقد قال الفرا في كتاب معاني القران ان الولي والمولى في كلام العرب واحد
الجواب ——— عن السوال الثالث   فاما الحجة على ان المراد بلفظة

مولى في خبر الغدير الاولى معنى لان من عادة اهل اللسان في خطابهم اذا اوردوا
جملة مصرحة وعطفوا عليها بكلام محتمل لما تقدم به التصريح ولغيره فانهم لا يريدون
بالمحتمل الا ما صرحوا به من الخطاب المتقدم ٥ مثال ذلك ان رجلا لو
اقبل على جماعة فقال الستم تعرفون عبدي فلانا الحبشي ثم وصف لهم احد عبيده
وميزه عنهم بنعت يخصه صرح به فاذا قالوا بلى قال لهم عاطفا على ما تقدم فاشهدوا
ان عبدي حر لوجه الله عز وجل فانه لا يجوز ان يريد بذلك الا العبد الذي سماه وصرح
بوصفه دون ما سواه ويجري هذا مجرى قوله فاشهدوا ان عبدي فلانا حر ولو اراد
غيره من عبيده لكان ملغزا غير مبين في كلامه واذا كان الامر كما وصفناه وكان
رسول الله صلى الله عليه وآله لم يزل مجتهدا في البيان غير مقصر فيه عن الامكان وكان
قد اتى في اول كلامه يوم الغدير بما صرح به وقرر امته عليه وهو انه اولى بهم منهم
بانفسهم على المعنى الذي قال الله تعالى في كتابه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ثم عطف
على ذلك بعد ما ظهر من اعترافهم بقوله فمن كنت مولاه فعلي مولاه وكانت مولى تحتمل
ما صرح به في مقدمة كلامه وتحتمل غيره لم يجز ان يريد الا ما صرح به في كلامه الذي
قدمه واخذ اقرار امته به دون سائر اقسام مولى وكان هذا قائما مقام قوله فمن كنت
اولى به من نفسه فعلي اولى به من نفسه وحاشا لله ان لا يكون الرسول صلى الله عليه
وآله اراد هذا بعينه ٥ ووجه آخر وهو ان قول النبي صلى الله عليه
وعلى آله فمن كنت مولاه فعلي مولاه لا يخلو من حالين اما ان يكون اراد به اولى ما تقدم
التقرير من الاولى او يكون اراد قسما غير ذلك من احد محتملات مولى فان كان اراد
الاول فهو ما ذهبنا اليه واعتمدنا عليه وان كان اراد وجها غير ما قدمه من احد

محتملات

يحتمل أن مولى فقد خاطب الناس بخطاب يحتمل خلاف مراده ولم يكشف لهم فيه
عن قصده ولا في العقل دليل عليه يغني عن التصريح بمعنى ما يحال إليه وهذا لا
يجوز على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله إلا جاهل لا عقل له ٥

الجواب عن السؤال الرابع وأما الحجة على أن لفظة أولى تفيد
معنى الإمامة والرئاسة على الأمة فهو أنا نجد أهل اللغة لا يضعون هذه اللفظة
إلا فيمن كان يملك تدبير ما وصف بأنه أولى به وتصريفه وينفذ فيه أمره ونهيه
ألا تراهم يقولون إن السلطان أولى بإقامة الحدود من الرعية والمولى أولى
بعبده والزوج أولى بامرأته وولد الميت أولى بميراثه من جميع أقاربه وقصدهم
بذلك ما ذكرناه دون غيره ٥ وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله سبحانه
النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم أنه أولى بتدبيرهم والقيام بأمورهم من حيث وجبت
طاعته عليهم وليس يشك أحد من العقلاء في أن من كان أولى بتدبير الخلق
وأمرهم ونهيهم من كل أحد منهم فهو إمامهم المفترض الطاعة عليهم ٥ ووجه آخر
ومما يوضح أن النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يوجب لأمير المؤمنين عليه السلام
بذلك منه الرئاسة والإمامة والتقدم على الكافة فيما يقتضيه فرض الطاعة
أنه قررهم بلفظة أولى على أمر يستحقه عليهم من معناها ويستحيل منه تنافيها
وقد ثبت أنه يستحق في كونه أولى بالخلق من أنفسهم أنه الرئيس عليهم والنافذ
الأمر فيهم والذي طاعته مفترضة على جميعهم فوجب أن يستحق أمير المؤمنين
عليه السلام مثل ذلك بعينه لأنه جعل له منه مثل ما هو واجب له فكأنه قد
قال من كنت أولى به من نفسه في كذا وكذا فعلي أولى به من نفسه فيه